انحسار الفكر والمفكرين

الفكر والمفكرون في ظل هيمنة التكنولوجيا

لقد عمّت التكنولوجيا أرجاء العالم فأحدثت تحولاً جذرياً في أنماط الحياة وأساليبها. فقد تسببت في اندثار الكثير من العادات التقليدية، ودفعت الأفراد والجماعات إلى إدارة ظهورهم للفكر المكتوب والكتاب الورقي. وخلال فترة وجيزة، أصبح الجميع يبحث عن ضالتهم في رحاب الشبكات العنكبوتية، وانحصر الفكر المعاصر في طرح الأفكار داخل هذه المنصات الرقمية. وبالتوازي مع ذلك، تراجع عدد المفكرين والباحثين مقارنة بالمراحل السابقة، إذ غلب على الناس الاعتماد على البحث السريع عن الأجوبة الجاهزة، دون العودة إلى الفكر العميق الذي أنتج هذه الأجوبة.

تشير تقارير اليونسكو إلى أن معدل القراءة في العالم العربي لا يتجاوز 6 دقائق سنويًا للفرد، مما يعكس حجم الانحدار في العلاقة مع الفكر العميق.

ورغم هذا التأثير السلبي، فإن التكنولوجيا يمكن أن تكون وسيلة لنشر الفكر وتوسيع نطاقه، كما في المنصات التعليمية والبودكاست الثقافي.

المفكر ودوره

المفكر هو ذلك الشخص الذي يوظف ذكاءه والتفكير النقدي، سواء على نحو مهني أو بصفة شخصية. وهو من يحمل أفكاراً ونظريات قائمة على معرفة واقعية، وينخرط في إنتاج الأفكار ونشرها. كما يتمتع بخبرة ثقافية وفنية تمنحه مكانة بارزة في الخطاب العام، ويصمد أمام الانتقادات والضغوط الاجتماعية.

ومن أبرز المفكرين العرب الذين حافظوا على تأثيرهم رغم التحديات الرقمية، المفكر المغربي عبد الله العروي، الذي لا يزال يقدم رؤى نقدية عميقة في الفكر العربي الحديث.

انحسار الحركة الفكرية

إن متابعة مسار الفكر العالمي تكشف عن انحسار ملحوظ، حيث لم تعد تظهر نظريات جديدة كما في السابق. وقد انسحب هذا الواقع على العالم العربي أيضاً، فأدى إلى تراجع النخبة الفكرية من حيث الكم والنوع. وبغياب هذه النخب، عاشت الشعوب العربية حالة من التخبط الفكري، حيث تلاشت الرؤى الواضحة، وضعفت الأيديولوجيات الجامعة، وفقدت المجتمعات القدرة على الاسترشاد بمفكرين حقيقيين.

انقسام النخبة الفكرية

رغم قلة عدد المفكرين العرب، إلا أن القلة الموجودة انقسمت إلى اتجاهين متناقضين:

1. **فئة والَت السلطة، فجندت فكرها لتبرير سياسات الحاكم، ووفرت غطاءً فكرياً لإدامة نفوذه عبر عمليات تضليل وغسل للأدمغة.**

2. فئة باحثة عن ذاتها، لكنها عجزت عن التفاعل مع الجماهير أو تقديم رؤى عملية واضحة، ما أفقدها التأثير.

وقد ترك هذا الانقسام فراغاً واسعاً استغله من يوصفون بـ "متسولي الفكر"، الذين يعبثون بعقول الناس ويشوّهون القيم والأخلاق.

الحاجة إلى القائد المفكر

إن الواقع يفرض اليوم ضرورة وجود "قائد مفكر"، وهي صفة تتولد بالفطرة لكنها تحتاج إلى صقل وتوجيه. فالقائد الحقيقي يجمع بين دفة الفكر والثقافة من جهة، ودفة التوجيه والحسم من جهة أخرى. ورغم أن المفكر ليس بالضرورة قائداً، إلا أن قوة أفكاره ورؤاه تجعله مؤثراً وموجهاً في المجتمع.

القائد المفكر هو من يملك رؤية استراتيجية ويحول الأفكار إلى قرارات عملية، كما فعل مهاتير محمد في ماليزيا حين مزج بين الفكر الاقتصادي والتخطيط السياسي.

أزمة الشعوب العربية: أزمة فكر

إن معظم أزمات الشعوب العربية هي أزمات فكرية بالدرجة الأولى، إذ انشغل الناس بالبحث عن لقمة العيش واستسهلوا شؤون الحياة، معتبرين الفكر والثقافة ترفاً لا حاجة إليه. وقد جعلهم ذلك عرضة للاحتلال الثقافي والأخلاقي، وفاقدين للبوصلة الفكرية التي توجه مسيرتهم.

سبل النهوض

ولكي تستقيم أوضاع الأمة وتنجح في مساعيها للتحرر الثقافي والأخلاقي، لا بد من:

- رعاية المفكرين وحمايتهم من الاستغلال.
- تهيئة الظروف التي تتيح لهم العمل بحرية وكفاءة.
- تنمية قادة فكريين يضعون مصلحة الأمة فوق مصالحهم الشخصية.
- بناء مجتمع متماسك قائم على تربية الأجيال على الأصالة والقيم السليمة.
- ومن بين الخطوات العملية: إدماج الفكر النقدي في المناهج الدراسية، وإنشاء منصات فكرية مستقلة، ودعم النشر الرقمي للمفكرين الشباب.

خاتمة

إن الأزمة التي تمر بها المجتمعات العربية ليست مجرد أزمة سياسية أو اقتصادية، بل هي أزمة فكرية بالأساس. فغياب المفكرين المؤثرين أو تهميشهم ترك فراغاً ملأه من لا يملكون مشروعاً حقيقياً. ومن هنا، يصبح دعم الفكر والمفكرين خطوة جوهرية لبناء مستقبل أكثر وعياً، يعيد للأمة أصالتها ويحصنها من الانحرافات الثقافية والأخلاقية.

إن مستقبل الأمة يبدأ من سؤال بسيط: هل نكتفي بالأجوبة الجاهزة، أم نعيد بناء أسئلتنا من جديد.